الشبابُ المسلم والنظرة للدّيانات السماويّة بين جدليّة التسامح واللاتسامح

■ رشيد جرموني

أولاً في الطبيعة المركبة للموضوع (إشكاليّة المعتقد وتمثلاته لدى فئة الشباب)

تطرح التحولاتُ والتغييرات الهائلة التي تعيشها المجتمعات والثقافات الإنسانية تساؤلاتٍ عدّة، تشمل العديد من المسَلَّمات والوثوقيات والمسلكيات والاتجاهات والمواقف والسلوكات، بل تشمل ـ بشكلٍ خاص ـ النظرة إلى الكون. ولعلَّ سؤال المعتقد من بين أعوص الأسئلة التي بدأت تتفاعل في الآونة الأخيرة، خصوصاً مع بروز «ظواهر اللامعيارية Anomie والصدمة Trauma، والقلق من المجهول uncertainty، وفقدان الاتجاه disorientation. وقد تدفع الناس العاديين إلى طرح أسئلة من قبيل: هل ما نعتقده ـ نحن المسلمين ـ «صواباً»؟ وهل يعني هذا أن الدّيانات الأخرى ليست على «صوابٍ»؟ وهل يمكن العيش من دون معتقد؟ وماذا عن اللاتدين والالحاد واللاأدرية؟

وهناك إشكالات لا تقلُّ أهمية عن الأولى، وهي من قبيل: كيف نعتقد؟ وما الطرق والآليات التي نبني بها معتقداتنا؟ وماذا عن دور

■ باحث في سوسيولوجيا الأديان، إسبانيا.

الوسائط التنشئويّة في إنتاج وإعادة إنتاج المعتقد؟ وما دور الثقافة ـ بالمعنى الأنثروبولوجي ـ في تغذية المعتقدات المجتمعيّة؟

وغنيٌ عن البيان أن العقيدة قد تستمر في اسمها الأصلي وما يدل عليها، ولكن تحتاج ـ لمواجهة التغييرات الحادثة ـ إلى آليات للاستمرار أو للتحيين أو حتى القطائع. ومن ثَمَّ تختلف الكيفيات التقليديّة والتاريخيّة مقارنة بالحالة الراهنة والحاضرة. ونحن لسنا في حاجة إلى التذكير بكوننا نعيش في لحظة «**ضياع المرجعيات**» أو لنقُل: «**ضبابية المرجعيات**»، حتى لا نتهم بأننا نختلق مفاهيم لا وجود لها، أو أننا نُدخل المعقول في اللامعقول، كما قال بذلك «سارتر». مما يستدعي من كل باحث في سوسيولوجيا الدين والتدين أن يولي هذه الواقعة اهتماماً كبيراً.

ولعلّ أهم ما يمكن إثارته في هذا التقديم هو أننا ـ في الكثير من الأحيان ـ نسمع في أحاديثنا العامة وفي الأماكن العموميّة ـ وفي بعض وسائل الإعلام، وبشكلٍ خاصٍ في المساجد والمدارس والتجمعات الدينية بالعالم الاسلامي، بل وحتى في العالم الغربي ـ أن اليهود والمسيحيين على «ضلال» أو «مغضوب» عليهم. ومن بين الفئات التي تتعرض لهذه المفاهيم، فئة الشباب؛ لأنهم يتغذون ـ من العديد من الوسائط الإعلاميّة والدينيّة ـ بالكثير من الأفكار المشحونة بالعنف الرمزي، وبشكلٍ خطيرٍ بشيطنة الآخر، وهو الغرب سواء الأوروبي أو الأمريكي. ولعلَّ استمرار هذه الفكرة يرجع إلى الإرث التاريخي الذي طبع العلاقات المتوترة بين العالمين الإسلامي والغربي. وقد استغلَّ هذا التوتر العديد من الجماعات الدينيّة المتطرفة والجهاديّة، بل وحتى التي يعدّها بعضهم «دعوية» «سلمية». لذا نتساءل: ما الأسباب العميقة لاستمرار هذه الأفكار الهدامة؟ والتي تُسمم الأجواء وتشحن الشباب بالكره والكراهية للآخر؟ ما تداعيات هذه المسألة على تعايش المسلمين والمسيحيين بألوانهم في البلاد الغربية والأمريكية وغيرها؟ كيف يمكن توجيه الشباب لتجاوز مثل هذه التصورات لإقامة قِيَم التسامح والتفاهم والعيش المشترك؟

يمكن الذهاب إلى أن السبب في وجود الأفكار المسبقة حول الغرب ـ بشيطنته، وبردِّ كل تخلفٍ وتراجعٍ وتأخر له ـ راجع لسنوات من الإرث التاريخي الذي طبع العلاقات المتوترة بين كلا العالمين. ورغم الجهود التي بذلت في السنوات الأخيرة للتقريب بين وجهات النظر؛ فقط ظهر الفكر الديني المتطرف بألوانه المختلفة، سواء مع «القاعدة» بالأمس أو اليوم مع «داعش»، والذي أسهم في انتعاش قيم الكره. ولعلَّ الدعوى التي يقدمها هذا الطرف للتمكين لفكرته إنما تتجلّى في تسويق نظرية المؤامرة، والتي تعني إرجاع كلِّ تراجُعٍ أو تخلف أو تدهور أو حروب للآخر، أي الغرب وأمريكا. مستندين في ذلك، للنصِّ القرآني ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: 82]. ولهذا يتمّ الخلط بين الديانة اليهوديّة كديانة سماويّة، والصيهونيّة كمنظمة عالمية إرهابية. وأكبر خلط يتمّ تسويقه هو أن هذا الغرب وأمريكا يتم السيطرة عليهم من طرف اليهود لتدمير العالم الاسلامي، بشتّى الوسائل؛ كالتشجيع على «الفجور»، ونشر «الرذيلة»، أو من خلال الترويج لفكرة «الماسونية». ويتمُّ ذلك عن طريق الإعلام، أو من خلال مناهج التعليم وفي الجامعات، وفي شبكات التواصل الاجتماعي وفي العالم الأزرق. وفي مرحلة ثانية ـ حسب الدعاوى نفسها ـ يتمُّ التأثير في صناع القرار في العالم الاسلامي، باستمالتهم وتوجيههم للتخلي «عن شرع الله»، وعن «تطبيق أحكام الشريعة» وما إلى ذلك. وإذا تمّت هذه العمليات مجتمعة الواحدة تلو الأخرى فإن ذلك يعني أن الغرب / أمريكا و«اليهود» قد تمكنوا من استعمارنا بطريقة جديدة وناعمة وأكثر نفاذاً.

يمكن الذهاب إلى أن السبب في وجود الأفكار المسبقة حول الغرب ـ بشيطنته، وبردِّ كل تخلفٍ وتراجعٍ وتأخر له ـ راجع لسنوات من الإرث التاريخي الذي طبع العلاقات المتوترة بين كلا العالمين.

انطلاقاً من هذه الواقعة حاولنا أن نفهم الخريطة العقائدية والذهنية للشباب، وذلك بالتركيز على دراسة المعتقد بوصفه أحد المواضيع البالغة التعقيد؛ ذلك أن «**المعتقد حافل بالأسرار**» كما قال بذلك «غوستاف

لوبون»[1]. وقد كانت هذه الصعوبة الإبستيمولوجية من بين أبرز العوامل التي أسهمت في ضعف عملية التأليف في هذا الموضوع. ويضاف لهذه الصعوبات صعوبات أخرى تأتي من تمثلات الناس للمعتقد، فبعضهم لا يرى فائدة من دراسة «البديهيات»، والتي تدخل في دائرة «المسلَّمات»، كما صرح لنا غير واحدٍ من المبحوثين ممن كنا نجري معهم الاستبانات أو المقابلات[2].

ولا شكَّ أن الإقدام على دراسة تديُّن الشباب في منطقة معينة يستحضر ـ من بين ما يستحضر ـ طبيعة المعتقدات التي يتمثلها هؤلاء الشباب، وكيف يعيدون بناءها؟ وهل يعيدون بناءها بالطريقة نفسها التي كانت من قبل؟ وهل تتغير عبر العصور؟ وما العوامل الفاعلة في بناء المعتقد؟ وما علاقة ذلك بالمعرفة الدينية وبالمحيط، وبالمؤسسات الأخرى التي تشكل روافد للحفاظ على المعتقد، أو ضياعه؟

ثانياً: وقفات مع مفهوم المعتقد

قبل أن نباشر الحديث عن مختلف الجوانب التمثلية للخريطة الذهنية المعتقدية للشباب، يجدر بنا ـ كما جرت العادة بذلك ـ أن نستهل هذا الفصل بتقديم تعريف عن مفهوم المعتقد، والوقوف عند مختلف التنظيرات السوسيولوجية التي تداولت بشأنه. بحسب الباحثين في سوسيولوجيا الدين: «**أكوافيفا**» و«**باتشي**» فإنه «يقصد عادة بالاعتقاد الديني مجموع التصورات التي يبلورها الأفراد أمام كائن أعلى أو قوة متعالية أو خارقة. فكما بين الألسني «إميل بنفست» لا أثر في قاموس الواقع الهندي ـ الأوروبي لمصطلحات شائعة لتصوير الدين: أو لتصوير الشعيرة، ولا أيضاً لتصوير الكاهن ولا أي

1 ـ غوستاف لوبون، «الآراء والمعتقدات»، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، (مصر)، الطبعة الأولى، 2012.

2 ـ يتعلق الأمر بدراسة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت عنوان: «**الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات: دراسة سوسيولوجية بعمالة سلا**»، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، تحت إشراف، د. المختار الهراس، سنة 2013، (في طريقة للنشر).

من الآلهة المشخصة. فالمفهوم الوحيد الذي يعود إلى التراث الهندي الأوروبي هو مصطلح «إلٰـــه»، الذي يظهر في الفضـــاء الهندي الأوروبي تحت مســـمى «deiwos» والذي يعني «المنير» «السماوي»، ويشير إلى نقيض المعنى الشائع؛ أي ما يتضارب مع الأرضي، الملتحف بالظلمات»[3].

من خلال هذا التعريف، يتبيّن مدى صعوبة ضبط معاني المعتقد؛ إذ إنه يختلف من مجتمع لآخر ومن بيئةٍ لأخرى ومن ديانةٍ لأخرى. لكن الذي يجمع الكل في بوتقة واحدة، هو كون المعتقد يمثل حاجة وجودية في الإنسان، كما يقول بذلك «غوستاف لوبون»: «فروح الإنسان تمقت الشكّ ولا تطيق الارتياب، وإذا تطرق الشـــكّ أحياناً إلى قلب الرجل فذلك لأجلٍ محدود، فالإنسان يفتقر إلى إيمان ديني أو سياســـي أو أخلاقـــي يهيمـــن عليه ويكفيـــه عناء التفكيـــر، وإذا تداعى معتقد فذلـــك ليحل مكانه معتقـــد آخر، ولا حـــول للعقـــل إزاء هذه السُّـــنَّة القاهرة التي لا تتبدل»[4].

> **إنّ المتخصصين في سوسيولوجيا التدين: «أكوافيفا» و«باتشي» يؤكدان ـ في معرض شرحهما للمعتقد ـ «أنه يمكن القول الآن: إن الاعتقاد الديني هو أساساً علاقة اعتقاد في شيءٍ، يتضمن خضوعاً وعجزاً واعترافاً بمحدودية، بين الكائن البشري وكائن أشدّ قوة مفعم نوراً وصدقاً.**

ولتوضيح دلالة المعتقد، فـــإن المتخصصين في سوسيولوجيا التدين: ـ «أكوافيفا» و«باتشي» ـ يؤكدان ـ في معرض شرحهما للمعتقد ـ «أنه يمكن القول الآن: إن الاعتقاد الديني هو أساســـاً علاقة اعتقاد في شيءٍ، يتضمن خضوعاً وعجزاً واعترافاً بمحدودية، بين الكائن البشـــري وكائن أشدّ قوة مفعم نوراً وصدقاً. على ضوء هذا الإقرار يصوغ الأفراد أنظمتهم المعرفية».

ويضيفـــان: «يســـتدعي الاعتقـــاد ـ بصفته علاقـــة ـ نوعاً مـــن الحاجة المعرفية، تجد إشـــباعها فقط في نظام من المعـــارف، تجري صياغته عبر

3 ـ سابينو أكوافيفا، وإنزو باتشي، «علم الاجتماع الديني الإشكالات والسياقات»، ترجمة: عز الدين عناية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، (أبوظبي)، 2011، ص 78.

4 ـ غوستاف لوبون، «الآراء والمعتقدات»، مرجع سابق الذكر، ص 15.

التاريخ، ويقترب من مختلف الأديان. فضلاً عن هذه التوصيفات «العمودية» يمكن للاعتقاد الديني أن يشير أيضاً إلى جملة من العقائد أو الحقائق الإيمانيّة التي تقبل بمثابة مكونات ضرورية للانتماء إلى مبدأ علوي. سواء أكان مدركاً في هيئة مشخصة أو مفارقة، كقوة جارفة أو قدرة جبارة، كنظام ووحدة للمخلوق أو كسبيل خلاص من رهن الشقاء الذي يتحكم بمصير العالم الأرضي. وفي هذه الحالة يصبح لمصطلح الاعتقاد الديني مدلولٌ عينيٌّ، يتلوّن بحسب مختلف الديانات التاريخية... بل أيضاً المبدأ التفسيري للنظام الكوني والاجتماعي»[5].

وما نستنتجه من هذا التوضيح المهم هو أن المعتقد لا يرتبط بالمعرفة وحدها ـ كما يعتقد بعضهم ـ بل إن المعتقدات ـ في جزءٍ هامٍ منها ـ غير منطقية، وهي خارج عن وعي الأفراد، وتشمل جوانب من التسليم والإستسلام. خصوصاً عندما يصبح مقبولاً اجتماعياً وثقافياً، وبمعنى من المعاني يصبح «ذائباً» وغير قابل للزوال. وعودة لباحثينا: «أكوافيفا» وباتشي»؛ «فالاعتقاد ـ ضمن خط عام ـ هو نوع من الإدراك المستقل والمتميز عن المعرفة، المبنية على أساس عقلاني وعلى الوضوح التجريبي. وبهذا المعنى يمكن القول: إن الاعتقادات هي صياغات ـ صيغت عبر كلام ـ يبدي نحوها الفرد أو المجموعة رضى تاماً، ذهنياً وشعورياً، تُعدُّ في كافة الحالات صادقة وجلية وفي منأى عن التشكيك».

تنبني استقلالية النظام المعرفي العائد للقبول بالاعتقادات أساساً على وجود صيغة من المعرفة، تستدعي ضرباً من التجربة موجهة إلى الشيء أو إلى الموضوع المراد معرفته. فالاعتقاد بالأساس هو ولاء لمبدأ، أو مصدر منير، يفسر في التو العديد من الألغاز المحيطة بنا. فالمباشرة تقود إلى الحدس؛ إذ ينبني الاعتقاد على شكل من الحدس والمشاركة الفاعلة، وهو ما يعني في الحقل الديني أن الاعتقاد يفترض تجربةً ما وبالعكس أيضاً[6].

5 ـ سابينو أكوافيفا، وإنزو باتشي، «علم الاجتماع الديني، ص79.

6 ـ المرجع السابق، ص80، 81.

وبعبارة موجزة ـ وبغرض تحديد المراد من لفظة الاعتقاد، ومن لفظة الاعتقاد الديني بالخصوص ـ يمكن القول: إن هناك أربعة أوجه مهمة لشرح وتفسير المعتقد، وهي التي يوضحها الباحثان المشار إليهما آنفاً؛ حيث بينت الأبحاث العلمية ـ سواء الجارية في حقل علم الاجتماع أو في حقل علم النفس الاجتماعي ـ وجود مجموعة من الملاحظات، منها:

- «إن الاعتقاد أشدُّ صلابة من الممارسة الدينية ومن معنى الانتماء الديني. إذ يمكن للأفراد أن يستمروا في إيمانهم، حتى وإن بدت على سلوكياتهم الظاهرة انحرافات أو شهدوا هجراً للممارسات الدينية التي تفرضها المؤسسة أو الجماعة.

إنّ الاعتقاد أشدُّ صلابة من الممارسة الدينية ومن معنى الانتماء الديني. إذ يمكن للأفراد أن يستمروا في إيمانهم، حتى وإن بدت على سلوكياتهم الظاهرة انحرافات أو شهدوا هجراً للممارسات الدينية التي تفرضها المؤسسة أو الجماعة.

- ثمة اختلاف بين النظام التراتبي لمحتويات الاعتقادات الدينية الذي ترسيه وتصادق عليه المنظمة الدينية، وتراتبية الاعتقادات التي يبنيها المؤمن بمفرده.
- إن آثار الأنظمة المعرفية الأسطورية أو الدينية يمكن العثور عليها أيضاً لدى الأفراد الذين يصرحون بأنهم لا يؤمنون، أو يبدون بشكلٍ فعلي جحودهم.
- وفي النهاية يتعذر في الأبحاث التجريبية التمييز في مواقف الاعتقاد بين ما يجري عيشه بصفة شخصية من جانب الأفراد، وبين ما يتمُّ إنتاجه جراء سياقات احتضان اجتماعي وأوضاع نفسية»[7].

إذا كان تعريف المعتقد يقع على أرضية جد متشابكة وجد متشعبة، فإن التنظيرات السوسيو-أنثروبولوجية ـ التي تبلورت في سياق الحفر في هذا الإشكال ـ تجد هي أيضاً مجالاً جدَّ خصبٍ لطرح وتطارح عدة أفكار وتوجهات ومواقف ورؤى، ترتبط بسياقات إنتاجها وبخلفيات منظّريها.

7 ـ المرجع السابق، ص 82.

ولتقريب القارئ من بعض هذه الجوانب النظرية نضع بين يديه جملة من التصورات، التـي نعتقد أنها حاولت أن تقترب من الموضوع بشكلٍ أو بآخر، وذلك من خلال ثلاثة تصورات:

أ) فالمفكر الفرنسي المشهور «ألكسيس دي توكفيل» أكد «أن الفرد هو الخلية الأساسية للمجتمع بصفته كائناً عاقلاً يملك تديناً طبيعياً. ويمثل الدين بالنسبة إلى الإنسان شكلاً لإشباع حاجات رئيسة، مثل إدراك معنى محدودية الظروف البشرية، ومن ثم القبول بمبدأ كبح الشهوات. بذلك يلقن الدين الفرد معنى الصالح العام، الذي يمثل بالنسبة إلى **توكفيل** جوهر الديمقراطية».

ب) الثاني عبّر عنه كل من ماركس وفرويد، فكما هو معروف بالنسبة لماركس يشكّل عالم الأفكار والرموز والتصورات الدينية عن الواقع بنية فوقية، فهو صياغة اجتماعية تفرضها بعض الجماعات ذات النفوذ على غيرها من الجماعات المستضعفة، حتى تجعلها تقبل بالتوزيع غير العادل للثروات الاقتصادية وبنسق السلطة، ومن ثمَّ الأديان والاعتقادات هي رؤى إديولوجية زائفة، عن العلاقات الاجتماعية. أما فرويد فهو منجذب إلى تفسير دواعي الاعتقاد، بربطها بآلية التحريم التي تميز الاعتقاد الديني، فالاعتقاد يستدعي وجهاً خفياً، شيئاً غير قابل للنقاش، لا يمكن بيسر فهْمُه أو حيازته.

ج) وأخيراً تمكّن كلٌّ مِنْ «غورلاو» و«شرويدر»[8] من إقامة نوع من التصنيف للحاجات الدينية يتأسس على مبدأ الاختلاف الوظيفي لأصناف التدين، في مقابل استراتيجيات لحاجات مختلفة الأصناف، تمّ تحديدها في سبعة عناصر، وهي:

- تذلل العبد أمام ربه؛ حيث الحاجة إلى إلغاء الأنا ضمن وحدة كونية أرحب.
- الحاجة إلى الحضور الذاتي: حاجة الإثبات الحيوي للذات، حاجة الخلود.

8 ـ L. Gorlow, H. E. Schroeder, Motives for Participating in Religious Experience, in «Journal for Scientific Study of Religion», 2, 1967, pp. 241-242.

- متابعة الأعراف العائلية: حاجة الاطمئنان.
- التطلع إلى الألوهية، حيث الحاجة إلى اكتشاف التواصل المباشر مع قوة مفارقة ولتجريبه أيضاً.
- خدمة الربّ في بُعدها الاجتماعي: حاجة إلى إضفاء معنىً على الفعل الاجتماعي.
- عقلنة الدين: الحاجة إلى تفسيرات مقنعة على المستوى الذهني للمقاصد النهائية للوجود.
- الوازع الخُلقي؛ أي الحاجة لصياغة تعاليم خلقية قارة».

يمثل الدين بالنسبة إلى الإنسان شكلاً لإشباع حاجات رئيسة، مثل إدراك معنى محدودية الظروف البشرية، ومن ثم القبول بمبدأ كبح الشهوات. بذلك يلقن الدين الفرد معنى الصالح العام، الذي يمثل بالنسبة إلى توكفيل جوهر الديمقراطية.

انطلاقاً من هذه النمذجة، يمكن أن نقرأ ونفهم مختلف التمثلات التي يضفيها الأفراد على معتقداتهم وعلى رؤاهم، وبشكلٍ خاصٍ على معبودهم؛ فالحاجة إلى التذلل أمام الله، والاستجابة السوسيو ـ ثقافية لطريقة تمثل المعتقد، والخوف والعقلنة، وكذا الحاجة للوازع الخلقي؛ أي لوجود معايير يحتكم إليها الفرد أو الجماعة ـ كلها تشكِّل ما يمكن أن نسميه «بالخلفية العقدية»، التي تمثل أحد المعالم البارزة في شخصية الفرد.

ثالثاً: في التنظير السوسيوأنثروبولوجي لتمثل المعتقد في حياة الشباب

بعدما تعرفنا على دلالات المعتقد، وبيَّنا التعدد والتشابك، وأيضاً الصعوبة المنهجية التي تكتنف هذا المفهوم، وخلصنا إلى إبراز بعض النماذج النمطية التي بلورها بعض الباحثين لفهم الخريطة الذهنية والخلفية التمثلية للمعتقد ـ ننتقل للحديث عن مستوًى ثانٍ من التنظير، وهو المرتبط بالتراث الأنثروبولوجي، والذي اشتغل على مجموعة من التجارب والمجتمعات والمعتقدات، سواء من خلال الدراسات القيمة للأنثروبولوجي الكبير «كليفور

غيرتز»، أو من خلال المؤسس لعلم الاجتماع «دوركهايم»، أو حتى من خلال بعض الاجتهادات التي طورها بعض الباحثين المغاربة؛ كعبد الله الحمودي، من خلال دراسته حول المعتقد وتطبيقاته في الحياة اليومية للناس.

فبخصوص الأنثروبولوجي كليفورد غيرتز قام بكتابة مقالة مهمة بعنوان: «ضدّ ـ ضدّ النسبية» «Anti-anti-relativism». إنها تعرض بشكلٍ واضحٍ لمحاولات Essays مونتاني، والتي تذهب إلى أن تنوُّع المعايير عبر الثقافات يؤكد على أنها توافقية، أو كما يقول بعضهم: «اعتباطية اجتماعياً». ووفقاً لغيرتز فإن مونتاني قد اكتشف حقيقة جوهرية، تمّ تأكيدها من طرف الأنثروبولوجيا المعاصرة: **الحقيقة التي تعني أنه لا توجد حقيقة معيارية،** ولكن فقط أعراف متغيرة من ثقافة إلى أخرى. الناس ينظرون إلى معتقداتهم المعيارية على أنها مؤسسة منطقياً، ولكن هذا المنطق هو فقط تبريرات أكثر من أن يكون أسباب هذه الاعتقادات، بحيث يتمُّ تبنيها من طرف الناس بشكل غير واعٍ، بسبب قيمة وظيفتها السيكولوجية. ويضيف «**بودون**»: «كل المجتمعات تتجه نحو تطوير طقوس وشعائر، وهذه الطقوس والشعائر تمتلك وظيفة إدماج الصغار في عالم الكبار، وتساعدهم على تطوير هويتهم الفردية»[9]. وسواء اتفقنا مع هذا التحليل الذي يرى أنه لا وجود لحقائق معيارية بقدر ما توجد أعراف متغيرة يتم تقبلها ثقافياً أم لم نتفق؛ فإن المعتقد في نظرنا يمتلك قوة قاهرة، ويفرض ذاته على الأفراد والمجتمعات، كأحد التبريرات المقبولة التي يتمُّ بها الإجابة عن سؤال المعنى.

ولعلَّ في مفهوم «النظرة للكون» «world view» الذي بلوره «ماكس فيبر» دلالة تنظيرية قوية على الثقل الثقافي والرمزي الذي يعلق فيه الإنسان؛ فهذا التصور ـ حسب فيبر ـ يعني النظرة العامة للوجود الذي يحكم ويحرك كافة الفاعلين الاجتماعيين. ويُعدُّ هذا المفهوم ـ الذي صاغه ماكس فيبر ـ نقطة انطلاق كل دراساته في السوسيولوجيا الدينية».

9 ـ ريمون بودون، «العلوم الاجتماعية والنسبيتان»، ترجمة: محمد مصباح، مجلة (إضافات)، المجلة العربية لعلم الاجتماع، (بيروت)، العدد، الثالث عشر، شتاء 2011، ص101.

وقد أصبح مفهوم النظرة إلى الكون ـ الذي عملت الدراسات المتعاقبة على تأصيله وترسيخه داخل مجال دراسة المعتقدات الدينية بشكلٍ عام ـ أكثر وضوحاً وجلاء؛ فهو بتعريف معظم الباحثين «مجموع المواقف الطبيعية تجاه الكون، التي تتم صياغتها انطلاقاً من فهمٍ رمزيٍ غير ممنهج نابع من الحسِّ المشترك اليومي[10]، يدرك به الناس الكيفية التي يوجد عليها عالمهم الاجتماعي؛ إذ تُعدّ هذه المواقف بمثابة مرجعيات بديهية تنتظم بمقتضاها الحياة اليومية»[11].

لعلَّ في مفهوم «النظرة للكون» الذي بلوره «ماكس فيبر» دلالة تنظيرية قوية على الثقل الثقافي والرمزي الذي يعلق فيه الإنسان؛ فهذا التصور ـ حسب فيبر ـ يعني النظرة العامة للوجود الذي يحكم ويحرك كافة الفاعلين الاجتماعيين.

فيما يرى «غيرتز» أن النظرة إلى الانسان على أنه حيوان يستعمل الرموز ويشكّل المفاهيم ويبحث عن المعاني ـ هي نظرة اكتسبت شعبية مزدادة في العلوم الاجتماعية وفي الفلسفة على حدٍّ سواء في السنوات الماضية. إن هذه النظرة تفتح الباب واسعاً أمام مقاربة جديدة، ليس فقط لتحليل الدين من حيث هو دين، بل أيضاً لفهم العلاقات بين الدين والقيم. إنها تدفعنا إلى فهم تجربتنا، واستخراج المعاني منها، وإكسابها شيئاً من الشكل والنظام. هذا الدافع لا يقلُّ إلحاحاً أو واقعية عن الاحتياجات البيولوجية المعروفة. وما دام الأمر كذلك، فإنه يبدو من غير الضروري الاستمرار في تأويل الأنشطة الرمزية ـ الدين، الفن، العقيدة ـ على أنها ليست إلا تعبيرات، مغطاة بنقاب شفاف، عن أشياء تختلف عما يبدو أنه حقيقتها: محاولات لتقديم التوجيه

10 ـ بالمقابل هل يمكن القول إن الفئات المتعلمة والتي ترتبط بالحركات الاسلامية والدعوية، أنها تشكل معتقداتها بطريقة واعية ومفكرة فيها، خصوصاً ونحن نعلم أن هناك تياراً سلفياً يركز في مبادئه وفي تربية منتسبيه على «العقيدة الصحيحة»، والتي تقترب مما هو معياري في نظرهم، ولهذا ألفت مجموعة من الكتب، أو تم إعادة طبع البعض منها، لتلبية هذا الغرض: انظر على سبيل المثال: «شرح العقيدة الطحاوية».

11 ـ عبد الغني منديب، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، «إفريقيا الشرق، (الدار البيضاء)، 2006، ص 89.

لكائن حي لا يستطيع أن يحيا في عالمٍ لا يتمكن مِنْ فَهْمِه، ولئن كانت هذه الرموز ـ بحسب عبارة «كينيث بورك» ـ هي استراتيجيات لفهم المواقف؛ **فنحن إذاً بحاجة لإيلاء المزيد من الاهتمام إلى كيف يعرف الناس المواقف، وكيف يعالجونها ويتعايشون معها**[12]. لا شكَّ أن الانطلاق من هذا التنظير هو ما يمثل المحاولة الاستكشافية التي قمنا بإنجازها في هذا البحث المتواضع، والذي سعَيْنا من خلاله إلى محاولة التعرف على طريقة تمثُّل الشباب العقائد الدينية، وكيف يؤولونها وكيف يرسمون استراتيجيات لإيمانهم أو لإلحادهم.

وقد سبق أن تحدث الأنثروبولوجي المغربي «حمودي» عن منهجية وصف المعتقدات الدينية، والتي تشكّل مرجعيات ثقافية، عندما استعار منهج «الوصف الكثيف»؛ فمن هذا الأخير يحتفظ بالميل إلى الفحص المجهري والمفصل، الذي يمحّص باستمرار فِعْل الناس الملموس وأطرهم الثقافية المرجعية. «وبالمقابل فهو يحاول أن يأخذ بالحسبان ربما بوضوح أكثر الإكراهات الأوسع التي يتبينها في النسق المرجعي للفاعلين». «صحيحٌ أنّ مِنْ المسلَّم به أن هذه الأطر والإكراهات التي تفرض نفسها على كل فعلٍ تظلُّ في أغلب الأوقات لا واعية؛ غير أن ذلك الفعلَ يَدين لها بتوجهه، رغم أنّها نادراً ما تتجلى بصورة أفكار ومفاهيم واضحة الصياغة عند أولئك الفاعلين. ولا تظهر كذلك للوهلة الأولى ومن حيث هي كذلك بالنسبة للملاحظ. فهذا الأخير يشكّلها بفضل نسقه المرجعي الخاص به، وبتحليل الأفعال الملموسة العابرة للمجموعة البشرية»[13]. ويضيف الباحث «حمودي» أمراً نعدُّ في غاية الأهمية، وهو أن العقائد في أغلبها لا تظهر بشكلٍ جليٍّ وشفاف، فهي تبقى كامنة وغير مصرَّح بها، ومن هنا تأتي صعوبة دراسة المعتقد كما أشرنا سابقاً: «**إن للناس حول عملهم الملموس واليومي رؤيات ومعايير جاهزة لتفسيره وتبريره، وهذه الأخيرة ـ كما نعلم ـ تظل في الغالب ضمنية. ومهما تكن الصورة التي تظهر**

12 ـ كليفورد غيرتز، «تأويل الثقافات، ترجمة البدوي، المنظمة العربية للترجمة، 2009، (بيروت)، ص 313.

13 ـ عبد الله حمودي، «الضحية وأقنعتها: بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغارب»، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، (الدار البيضاء)، الطبعة الأولى، 2010، ص 15.

بها، فلا بد مع ذلك من وصفها بالطريقة نفسها التي توصف بها الأشياء التي تقدّم عنها ـ في أعين الفاعلين ـ التبرير والمعقولية»[14]. إن الادعاء بأن الباحث يستطيع أن يتوصل في عمله الميداني إلى وصف دقيق لمجمل البينات الثقافية والعقدية التي تشكّل جزءًا من هوية الفرد ـ يُعدُّ في نظرنا ادعاء مغالياً، فأقصى ما يمكن الوصول إليه هو وضع «**مخططات إرشادية**» تساعدنا على فهم هذه الخرائط المعقدة والمركبة والمتشابكة.

ومن بين التنظيرات التي استوقفتنا ـ ونحن نبحث في موضوع تمثل العقائد وإنتاجها وإعادة إنتاجها ـ تلك الفكرة الجوهرية التي عبر عنها «**دوركهايم**» رائد الفكر السوسيولوجي، عندما رأى أنه رغم وجود مجتمعات تتوحد في رؤيتها المرجعية وفي نظامها الثقافي / القيمي / والديني؛ فإن الناس لا يتمثلونها بالقدر نفسه وبالحدّة نفسها والكيفية نفسها. في هذا السياق مثلاً يمكن أن ندرج بعض الخلاصات التي توصل إليها العديد من الباحثين في الانثروبولوجيا وسوسيولوجيا الأديان؛ لكي يستوعب التلاميذ فكرة التسامح؛ حيث إن الفكرة التي دافع عنها «دوركايم» تؤكد هذا المنحى: «إن الطقوس الأكثر همجية، والأساطير الأكثر إثارة للغرابة تترجم حاجة بشرية معينة، أو بُعداً معيناً من أبعاد الحياة، فردياً كان أم جماعياً. يمكن للأسباب التي يعتمدها المؤمنون لتبرير تلك الأساطير والطقوس أن تكون خاطئة، وغالباً ما تكون كذلك؛ لكن الأسباب الحقيقية لا تتوقف عن الوجود، وترجع إلى العلم مهمة اكتشافها. في الواقع ليست هناك ديانة خاطئة، إنها كلها صحيحة بطريقتها الخاصة؛ فهي تستجيب ـ ولو بأساليب مختلفة ـ لشروط معطاة للوجود البشري»[15].

إنّ الادعاء بأن الباحث يستطيع أن يتوصل في عمله الميداني إلى وصف دقيق لمجمل البينات الثقافية والعقدية التي تشكّل جزءًا من هوية الفرد ـ يُعدُّ في نظرنا ادعاء مغالياً، فأقصى ما يمكن الوصول إليه هو وضع «مخططات إرشادية».

14 ـ المرجع السابق، ص16.

15 ـ حسن أحجيج، «قراءة نقدية في كتاب الأشكال الأولية للحياة الدينية لإيميل دوركايم»، إسهام في مؤلف جماعي، بتنسيق، يونس الوكيلي، تحت عنوان: «الديـن والمجتمع ونظرية المعرفة: =

وفي شــرحه لقواعد المنهــج عند دوركهايــم يقدم إمانويل والرســتاين توضيحاً يصلح لفهــم تركيبية التمثلات العقدية، وكيــف يعيد الفرد بناءها: «على الرغم من أن حقيقــة أن العقائد والممارســات الاجتماعية تأتينا بهذه الطريقة من الخارج؛ **فإن هذا لا يعني أننا نستقبلها بشكلٍ سلبي دون العمل على تعديلها؛ فعندما نفكر في المؤسسات الجماعية، ونحاول أن نلائم ذواتنا وفقها؛ فإننا نصبغها بصبغة فردية، ونطبعها بطابعنا الشخصي**. وهكذا عند التفكير في عالم الحواس، فإن كل واحدٍ منا يلونه بطريقته الخاصة، ويتكيف الناس المختلفون بطرق مختلفة مع البيئة الطبيعية نفسها. ولهذا السبب يخلق كل واحد منا ـ إلى درجةٍ ما ـ أخلاقه ودينه وأساليبه. يحمل كل نوع من أنواع **الامتثال الاجتماعــي** «social conformity» مجموعة كاملة مــن الاختلافات الفردية. وبالرغم من ذلك فالمجال المسموح به لتلك الاختلافات محدود. إن هذا المجال غير موجود أو صغير جدّاً بالنســبة للظواهر الدينية والأخلاقية، حيث يمكن بسهولة أن تصبح الانحرافاتُ عنها جرائمَ[16].

رابعاً: تمثل الشباب للديانتين المسيحية واليهودية

تشــترك الديانات التوحدية في العديد من القواسم المشتركة، لعل من أبرزها علــى الإطلاق فكرة التوحيــد؛ أي توحيد الخالق، ولهذا ســميت بهذا الاسم، وتشــترك لأنها خرجت من مشــكاة واحدة، ولأنها أسهمت في تقريب الإنســان إلى عالم الســماء وعالم الميتافيزيقا. يقول الباحــث «علي عزت

= قراءات معاصرة فــي أعمال ايميل دوركايم»، مؤسســة مؤمنون بلا حدود، ملــف بحثي، بتاريخ، 2015/08/28، (ورقة إلكترونية، https://www.mominoun.com/pdf1/2015-08/maaaa33rifa.pdf ، ص97. تاريخ المشاهدة: 20 ـ 10 ـ 2015).

وللإشــارة فقد صدر الكتاب في حلة جديدة تحت عنوان: «الانثروبولوجيا الفرنســية: دراسات ومراجعات في تراث إيميل دوركايم ومارســيل موس»، إشراف وتنســيق وتقديم يونس الوكيلي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، سنة، 2018.

16 ـ إمانويل والرستاين، «علم الاجتماع الغربي: مساءلة ومحاكمة»، منشورات المعهد العالمي للفكر الإســلامي، هرندن ـ فرجينيا، الولايات المتحــدة الأمريكية ترجمة محمد الــذوادي، (لبنان)، 2011،، ص25، 26.

بيكوفيتش: «لقد قامت هذه الأديان الثلاثة بدور رئيس في تاريخ الإنسانية، ومن خلالها أصبح الإنسان محوراً للتاريخ، وتعلم أن ينظر إلى الإنسانية في مجموعها ككل. ومن خلالها عرف الإنسان معنى الحياة الجوانية والحياة البرانية، وعرف معنى التقدّم الجواني والتقدّم البراني، وما بينهما من علاقات وحدود. لقد تُوِّجت النجاحات والإخفاقات التاريخية ـ لكل من اليهودية والمسيحية ـ بخبرة إسلامية عن الجنس البشري. وهكذا، فإن موسى وعيسى ومحمد قد تجسدت فيهم ثلاثة إمكانات مبدئية لكل ما هو إنساني»[17].

وبالنظر لكون السؤال حول تمثل الشباب لكلتا الديانتين التوحيديتين يعدُّ في نظرنا واحداً من الأسئلة التي تستحق البحث، ولأنه يدخل في خانة المعتقدات الدينية، التي تشكِّل أحد الجوانب الأساسية في بناء التصورات المعتقدية عن الذات والآخر، بمعنى نوعية التمثلات التي يحملها الشباب عن الإسلام، وبقية الديانات الأخرى. من هذا المنطلق فإننا حاولنا ـ من خلال هذا البحث ـ أن نستكشف بعضاً من هذه التمثلات.

تشترك الديانات التوحدية في العديد من القواسم المشتركة، لعل من أبرزها على الإطلاق فكرة التوحيد؛ أي توحيد الخالق، ولهذا سميت بهذا الاسم، وتشترك لأنها خرجت من مشكاة واحدة.

بالعودة إلى نتائج البحث الميداني الذي أنجزناه بخصوص هذا الموضوع، فهي تكشف عن مجموعة من النتائج ربما الصادمة حتى، فأغلب الشباب المستجوب عبّر لنا إما عن عدم معرفته بالديانتين، أو أنه ينظر إليهما بنظرة سلبية وقدحية، أو أنه يربط بين المسيحية واحتفالات رأس السنة، وقليل من التصريحات هي التي عبرت عن رؤية متوازنة لكلتا الديانتين.

فمثلاً تبين الشهادة التالية إلى أي حدٍّ هناك جهل بكلتا الديانتين، يقول (سفيان، 16 سنة، إعدادي): «**هم كفّار؛ ونصارى وغير مقربين من الله**».

17 ـ علي عزت بيكوفيتش، «الإسلام بين الشرق والغرب»، ترجمة: محمد يوسف عدس، (مؤسسة بافاريا)، مجلة (النور الكويتية)، ط، الأولى، (بيروت)، 1994، ص 271.

وحتى عندما وجهنا له السؤال حول الديانة اليهودية، قال: «**هم الكفار لأنهم لا يصلّون وليسوا مقربين من الله**».

لا شكَّ أن هذا التمثل السلبي للديانتين، يتغذى من مجموعة من الأفكار النمطية والمسبقة، والتي تروج إما في المساجد، أو في بعض اللقاءات الدعوية التي تقيمها بعض التيارات الإسلامية، أو حتى الإعلامية. ولا ننسى ثقل الثقافة الشعبية والحس المشترك، فهما يساعدان على إنتاج وإعادة إنتاج التصورات والمواقف والرؤى من الآخر.

وفي الاتجاه نفسه، نقرأ التصريحات التالية حول الديانة المسيحية: «**أنا كمسلم أعدّه ديناً خرافياً لا أصل له في الدين، وهو عبارة عن شرك، حيث إنك تجعل مع الله ندّاً**» (زهير، 26 سنة).

أما موقفه من الديانة اليهودية فلا يختلف عما سبق: «**اليهودية تختلف عن المسيحية فهم يتبعون عزيراً ويقولون عنه ابن الله**».

ربما يمكن فهم هذه التصريحات إذا ما ربطنا بينها وبين المستوى الدراسي، حيث لا يتعدى مستوى المستجوبين السابقين، الإعدادي أو الابتدائي، لكن إذا ما حاولنا أن نستكشف مثلاً آراء الشباب المتقدّم في الدراسة، فإن الأمر يكشف عن مواقف جدّ مفارقة، فمثلاً عبّرت لنا المبحوثة (إيمان، 22 سنة، العالي: باك+2) بأن المسيحية واليهودية لا تعني لها أي شيء: «**بالنسبة لي فالديانتان اليهودية والمسيحية لا تعني لي شيئاً**».

أما المبحوثة، (حياة، 22 سنة، العالي: باك+2) فقالت: «**لا أعرف عن المسيحية واليهودية أي شيءٍ، ولا تعني شيئاً ما، فالإسلام هو ديني**».

وهناك بعض التصريحات التي ربطت بين المسيحية كدين وبين احتفالات رأس السنة، يقول (مراد، 18 سنة، إعدادي): «**المسيحية تركت لنا عاماً نحتفل به مع اليهود وهو البوناني**» (يقصد احتفالات أعياد الميلاد).

لا شكَّ أن هناك أسباباً عميقة ومترسبة في المخيال والوجدان، هي التي شكلت تمثلات فئة الشباب بمنطقة الدراسة، وهو ما يحثنا كباحثين لاستجلاء

مزيد من المعطيات حــول هذا الموضوع، لكن بشــكلٍ أكثر توســعاً من هذا المنجز المتواضع.

بالموازاة مع هذه التصريحات ـ والتي اتسمت كما بينا ـ بنوع من السلبية والتقديــح، وحتى غياب الفهــم والمعرفة ـ فإن بعــض التصريحات الأخرى ـ رغم قلتها ـ عبرت كما قلنا آنفاً عن مستوى من الإدراك والفهم: «**هي ديانة سماوية من الديانات المهمة؛ لكن الحيف الذي وقع هو أن هده الديانة تعرضت للتحريــف والتزوير، بمعنــى أن الأصل يصعــب الآن في ظلِّ اختلافات بين الأناجيل، لا يمكن أبداً استشــفاف إنجيل واحد؛ لأن هناك إنجيل لوقا، وإنجيل متَّى ومارتن لوثر، الذي حاول بدوره أن ينشــئ انجيلاً جديداً ولو كان الأصل لكان واجباً العمل به، وما دام الأصل قد ضاع فلدينا كلام الله والقرآن نحفظه ونتحاكم به ونستشير به**» (محسن، 23 سنة، العالي).

لا شكَّ أن هناك أسباباً عميقة ومترسبة في المخيال والوجدان، هي التي شكلت تمثلات فئة الشباب بمنطقة الدراسة، وهو ما يحثنا كباحثين لاستجلاء مزيد من المعطيات حول هذا الموضوع.

ورغم أن المبحوث بيــن أنه اطلع على بعض المصادر التاريخية للمسيحية، كإنجيل «متَّى» أو «لوقا» فإنه رأى أن الأصلح في ذلك هو القرآن، لكن على الأقل فإن التصريح يبين أنه لا يرى في الديانة المسيحية سوى أنها ديانة سماوية.

أما موقفه من الديانة اليهودية: «**كديانة أيضاً ـ مثلها مثل المسيحية تعرضت للتحريف والتزييف ـ خرجت عن المبتغى، ولا يمكن أبداً أن تجد الكتاب الأصلي مع هذه التحريفات، ولكن القرآن ظلَّ بعيداً عن هذه الشوائب، كما يقول الله تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9] **ونحن إن وجدنا الأصل لعملنا به، ولكن الله أخبرنا أن الأصل ضاع وحرف، ونحن نحترمهم كأنبياء ورسل ونقتدي بآثارهم التي جاءت في السُّــنَّة النبويّة، ومن ثمَّ أحترمهــا كديانة توحيدية**» (محســن، 23 سنة، العالي).

كما نلاحظ فهذه الشهادة لا تختلف عن سابقتها، لكن الجديد فيها هو إقراره بأن الديانة اليهودية تعرضت للتحريف وذلك بنص القرآن، ونحن نتساءل: ما المصادر التاريخية التي بنى عليها هذا الشاب موقفه هذا؟ وهل هناك أدلة يمكنها أن تسند رأيه؟ لكن بغضِّ النظر عن طبيعة هذا الجواب الذي يحتاج إلى تدقيق، فإن التمثل الإيجابي حاضر، فقد بين أنها ديانة توحيدية تستحق كل الاحترام، وأن أنبياءهم رسل لنا نقتدي بهم، كما بيّنت السُّنَّة النبويّة. ولعلَّ المستوى الدراسي الذي يتمتع به «**محسن**» (**العالي**) هو الذي أسهم في إنضاج هذه الصورة، لكن هناك عامل آخر، فقد صرح لنا في معرض جوابه عن أسئلة تتعلق بالموقف من الحركات الإسلامية، بكونه يتعاطف مع بعضها، وأكثر من ذلك فمستواه العلمي غير مرتبط بالدرجة التي وصل إليها، ولكن من خلال اطلاعه على مجموعة من الكتب. فالقلة القليلة من الشباب من يستطيع التعرف على «إنجيل **متى**» أو «**لوقا**».

ماذا يمكن أن نستخلص من نتائج البحث الميداني؟

من خلال الرسم الآتي يتضح أن شباب المنطقة لديهم مواقف رافضة لحق المسيحيين في نشر ديانتهم بالمغرب، حيث وصلت نسبة من يعترضون إلى (80%)، بينما (16%) عبّروا عن موافقتهم لذلك، و(4%) من دون رأي. ولعلَّ هذه النتيجة تعكس الصورة النمطية التي يشكّلها الشباب المسلم عن الديانة المسيحية، والتي تنسجم مع ما ورد في تصريحات أغلب المستجوبين. هذا على الرغم من أن المسلمين يقومون بنشر الإسلام والدعوة إليه في بلاد أوروبا وأمريكا وكل بقاع العالم. فإذا كان المسلمون يقومون «بالدعوة» لديانتهم فلماذا يرون أنه ليس من حقِّ الآخرين عمل الشيء نفسه؟ هل يمكن القول: إن المسلمين يتميّزون «بالانغلاق»؟ وعدم قبول الآخر؟ أسئلة تبقى معلقة دون جواب؛ لأن الدخول في متاهاتها يمكنه أن يعرض المرء لنقدٍ شديدٍ من طرف أفراد مجتمعه، بل يمكن الذهاب إلى حدِّ التشكيك في نياته.

رسم رقم (1) اتجاهات الموقف من ممارسة المسيحيين للتبشير داخل المغرب%

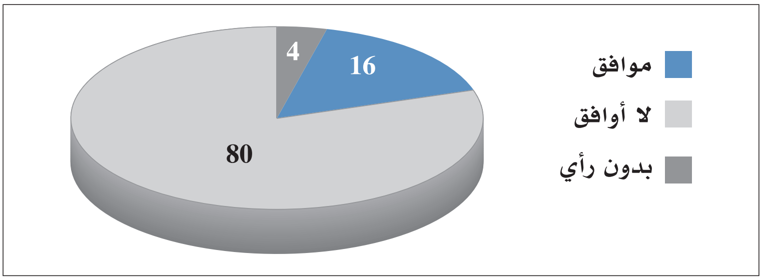

المرجع: الشباب وتحوّل القِيَم والاتجاهات والممارسات: دراسة سوسيولوجية بعمالة «سلا»، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، تحت إشراف، د. المختار الهراس، سنة 2013.

يلعب الحسّ المشترك دوراً حاسماً في ترسيخ المعتقدات والمواقف والأفكار والاتجاهات، حيث تُصبح الأفكار الرائجة بمثابة ترسبات يصعب إزالتها، وقد ينضاف إلى ذلك ضعف أو غياب المعرفة الدينية بالأديان.

لا شكَّ أن النتائج حملت مفاجأة للتمثلات التي يحملها الشباب حول الديانيين التوحيديتين: اليهودية والمسيحية، حيث تبيّن أن هناك مواقف جدّ سلبية تتجه نحو «التكفير» أو في اتجاه التبخيس من دورهما ومن صلاحيتهما، وهناك مواقف متوازنة ـ لكنها من حيث العدد قليلة، ولهذا فنحن نتساءل: ما مصدر هذه المواقف؟ ومن يغذي مثل هذه الأفكار؟ وما هي جذورها الحقيقية؟

يلعب الحسّ المشترك دوراً حاسماً في ترسيخ المعتقدات والمواقف والأفكار والاتجاهات، حيث تُصبح الأفكار الرائجة بمثابة ترسبات يصعب إزالتها، وقد ينضاف إلى ذلك ضعف أو غياب المعرفة الدينية بالأديان، مما يفتحنا على تساؤل أكثر إلحاحاً: لماذا لا تدرس السمات الرئيسية للأديان في المدرسة العمومية؟ هل الأمر مرتبط بخلفية إديولوجية تخشى من الإحراجات التي يمكن أن يثيرها بعض الفاعلين؟ أم إن الأمر يعود في جزءٍ منه إلى قصور منهجي وعدم استيعاب للتحديات الطارئة في منظومة القيم؟

لا شكَّ أن الإجابة عن هذه الإشكالات وغيرها مما يستحق بحثاً جامعياً مستقلاً؛ لكننا ـ ونحن نبحث عن تمثلات الشباب للديانتين السماويتين ـ توصلنا إلى أن المقررات الدراسية لا في مادة التربية الإسلامية، أو الفلسفة[18] أو التاريخ أو غيرها تخلو من التطرق للموضوع؛ لكن ذلك لا يمنع من وجود بعض المؤسسات التعليمية الخاصة ـ «التي استلهمت مقررات فرنسا في مادة القراءة»[19] ـ حاولت أن تقدّم صورة أولية وبسيطة عن الأديان الثلاثة، وذلك بالتركيز على الكتب السماوية: «التوراة» «La Torah»، والإنجيل «La Bible»، والقرآن «Le Coran»، وهو أمرٌ مهمٌ؛ نظراً للفقر الكبير الملاحظ في فهم التلاميذ والشباب للديانات السماوية ولكتبهم وأنهم ينحدرون من مَعِين واحد. لكن الأمر المفاجئ الذي توصلنا إليه في هذا المقرر هو الحديث عن خَلْق العالم «La Genèse»، وكيف خلق الله الكون والطبيعة والإنسان، فبعد خلق الأرض والسماوات في اليوم الأول من الأسبوع، ورتق السماء عن الأرض، وخلق البحار في اليوم الثالث، خلق الشمس والقمر والكواكب في اليوم الرابع. أما في اليوم الخامس فقد خلق الله الحيوانات. وفي اليوم السادس خلق الله الإنسان: آدم وحواء على صورته، وجعل له الأرض ذلولاً ومسخرة بخيراتها، فإنه «استراح» في اليوم السابع، وجعله مقدساً[20].

إن فكرة تدريس الديانات السماوية ـ بما تعنيه من تعريف التلاميذ والناشئة عن أصل الأديان، وأصل العالم والكون والطبيعة والإنسان ـ هي

18 ـ أثناء وجودنا في ملتقى علمي تكريمي للدكتور محمد سبيلا في مدينة تطوان (المغربية) شهر أبريل من سنة 2013، طرحنا عليه هذا السؤال، لماذا لا تدرس «تيمة» الأديان في مقررات الفلسفة؟ على اعتبار أنه من بين الباحثين الذين ساهموا في إخراج مجموعة من المقررات بالسلك الثاني، فكان جوابه، إن طبيعة الموضوع الشائكة وتحرج الدولة من طرحه، هو السبب في ذلك، رغم أنه كان مقرراً في سنوات ماضية. (مقابلة غير رسمية). ولهذا فنحن نأمل أن يتم تدارك هذا المعطى في مقبل السنوات، خصوصاً إذا ما تم تغيير المناهج والمقررات الدراسية.

19 ـ Marlène Guillou-Théry, (direction), L'atelier des lettres, Français 6e, programme: 2009, Nathan, (Paris), 2012.

20 ـ Ibid, p, 105.

من بين المواضيع التي أصبحت ملحّة في ضوء النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، أو غيرنا من الباحثين، وذلك حتى نكون شخصية مستقلة في رؤاها ومتماسكة في نظرتها للأشياء. وبقدر ما تجد هذه الدعوة موقعها في سياق تحول عقدي وقيمي؛ فإن ذلك لا يعني أيضاً، تقديم تصورات متناقضة مع عقيدة الشعب الذي تدرس فيه. فكما هو معلوم أن الكلام العالي بلغة «إكلمان» (القرآن) تطرق لموضوع الخلق، وبين أن الخالق بعد خلقه للسموات والأرض وغيرهما لم يسترح، ولعلَّ هذا المعطى كفيل بإحداث قلق عند الناشئة: أي الروايتين أصحّ؟ وقد يدفع بهم إلى التساؤل عن طبيعة هذا الاختلاف.

لعلَّ النظر في واقع النظام العالمي الحالي يوضح أن هناك مسببات توتر، لها جذور سوسيوتاريخية، تعود ربما، إلى حقبة الاستعمار والاستعلاء العنصري والاستغلال الطبقي والتعصب الديني والصراع العقدي والإرهاب الرسمي وغير الرسمي.

ونحن نعتقد أن الأمر أعقد من ذلك؛ لأنه يمسّ مسألة الحوار بين الأديان والحضارات والشعوب والتسامح وقِيَم التعايش، وغيرها من المفاهيم والمصطلحات، التي كثر حولها الحديث في الآونة الأخيرة في عالمنا المعاصر. وهذا ما تعكسه كثرة الندوات والملتقيات وورشات العمل الدولية، التي تعقد بين الخبراء من كل الحضارات. لكن على الرغم من هذا الزخم الإشعاعي؛ فإن عوامل تغذية الصراع والتشكيك ما زالت قائمة وتزداد باستمرار. ولعلَّ النظر في واقع النظام العالمي الحالي يوضح أن هناك مسببات توتر، لها جذور سوسيوتاريخية، تعود ربما، إلى حقبة الاستعمار والاستعلاء العنصري والاستغلال الطبقي والتعصب الديني والصراع العقدي والإرهاب الرسمي وغير الرسمي، الذي تمارسه بعض الدول. ولذلك فإن ما يمكن استنتاجه أن وراء كل **ذلك، أزمة قِيَم تفعل فعلها في الكون كله**، حيث يجري فيها إنكار الغير، وعدم التسليم باختلافه، والكيل بمكيالين، وتحكم فكرة الصراع والبقاء للأقوى والأصلح بدلاً من التعارف والتعاون.

ومن جهةٍ أخرى فإن العقل الإسلامي يمر هو أيضاً بأزمة من نوع خاص، تشمل بنيته ومفاهيمه و«براديغمه» للحياة ومنهجه في النظر لهذه الإشكالات. ومن بينها وضع الحوار في صلب اهتماماته، ووفق أولويات فكرية وثقافية وحضارية محددة، تخدم مصالحه ومصالح الأُمة العليا. لهذا نعتقد أن تجلية هذه المفاهيم والرؤى والتصورات بين أبناء الديانات التوحيدية أمر أصبح حيوياً، حتى لا نقع فيما يمكن تسميته التقوقع على الذات[21]. وكما قال «ريجيس دوبريه» «Régis Debray» إننا يجب أن ننتبه لمسألة تدريس الأديان؛ لأنه «قام الدليل على أن المعرفة الموضوعية والسياقية بالنصوص المقدسة وبالتقاليد الدينية تدفع العديد من الشبان المتطرفين إلى رفع وصاية أولئك الذين قادوهم إلى التطرف، وكثير منهم جهلاء وعديمو الكفاءة. إن ممثلي الطوائف الدينية الأكفاء يدركون هذا الأمر بوضوح. ويجدر بنا أن نتجه أيضاً إلى المؤمنين المتحفظين لنذكرهم ببديهيات من نوعٍ آخر كي نحقق التوازن بينهم والفريق السابق»[22].

خامساً: الشباب وقِيَم التسامح واللاتسامح[23]

بالنظر لكون الدين يمتدّ إلى جوانب عامة في حياة الإنسان ـ بصفة عامة ـ والمسلمين منهم بصفةٍ خاصة؛ فإن فهْم الأبعاد العلائقية التي

21 ـ انظلا لمزيد من الإطلاع حول الموضوع: مريم آيت أحمد، «جدلية الحوار: قراءة في الخطاب الاسلامي المعاصر»، تقديم: عبد المجيد النجار، منشورات مجلة علوم التربية، العدد 24، سنة 2011، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

22 ـ ريجيس دوبريه، (تدريس الشأن الديني في المدرسة اللائكية)، ترجمة: محمد الحداد، مجلة (المدرسة المغربية)، منشورات، المجلس الأعلى للتعليم، العدد المزدوج: 4 ـ 5، أكتوبر، 2012، ص 168.

23 ـ هناك دراسة دولية ظهرت مؤخراً حول موضوع التسامح ونظرة المسلمين للغرب ونظرة الغرب للمسلمين، سهر عليها معهد «كالوب» بدبي يمكن النظر إليها فهي غنية بمجموعة من المعطيات التي ترسم توجهات الرأئ في هذه المسألة الشائكة.

انظر: Gallup Muslim-West Perceptions Index: Inaugurabl Findings. December 2011.Abu Dhabi Guallup Center.

تربط بين المسلمين والغرب ـ والآخر بصفةٍ عامة ـ تبدو مفيدة من الناحية السوسيولوجية، ولهذا استدمجنا في بحثنا تمثلات شباب منطقة الدراسة، ونظرتهم للآخر؟ وقد حددنا هذا الآخر في المسيحيين واليهود، وطرحنا سؤالاً: هل يمكن أن تقبل أن يكون لك صديق مسيحي أو يهودي؟ ونحن نضع هذه الأسئلة لكوننا نلمس تحولاً في نظرة المسلمين لغيرهم، ونريد أن نتأكد من بعض الفرضيات مثل: هل الشباب متسامحون؟ وهل يقبلون بالآخر؟ وهل يمكن التفكير في مجال للتفاهم؟ وتمثل نظرة الشباب في هذه الإشكالية، بؤرة حقيقية لفهم مآلات المستقبل. لكل هذه الاعتبارات تأتي هذه الفقرة كمكملٍ لبقية الفقرات، في فصل الأخلاق والقِيَم الدينية.

إنّ العقل الإسلامي يمر هو أيضاً بأزمة من نوع خاص، تشمل بنيته ومفاهيمه و«براديغمه» للحياة ومنهجه في النظر لهذه الإشكالات. ومن بينها وضع الحوار في صلب اهتماماته، ووفق أولويات فكرية وثقافية وحضارية محددة، تخدم مصالحه ومصالح الأمة العليا.

أ) نظرة الشباب لليهود

ما تكشف عنه معطيات الرسم أدناه أن شباب المنطقة ـ بحسب متغير السنِّ ـ، لهم تمثلات سلبية تجاه إقامة علاقة صداقة بينهم وبين اليهودي، وأن النسبة الأكبر سجلت عند فئات السِّن (31/35سنة) بـ(78.1%) كموقف رافض لهذه العلاقة. في حين عبر (21.9%) من الفئة نفسها عن قبولهم لمثل هذه الصداقة. وهو ما يعكس التوتر الحاصل في علاقة المسلمين باليهود، وذلك ما تتداخل فيه عوامل سوسيو-سياسية وسوسيو-ثقافية، كالإرث التاريخي والنظرة الدينية للديانة اليهودية، وقد انضاف إلى كل ذلك العوامل السوسيو-سياسية كالاستيطان «الإسرائيلي» لأرض فلسطين. كل تلك العوامل تعتمل في سياق متموج مما يخلق مسلكيات ومواقف غير متسامحة.

رسم رقم (2) اتجاهات الشباب لعقد صداقة مع يهودي بحسب متغير السن%

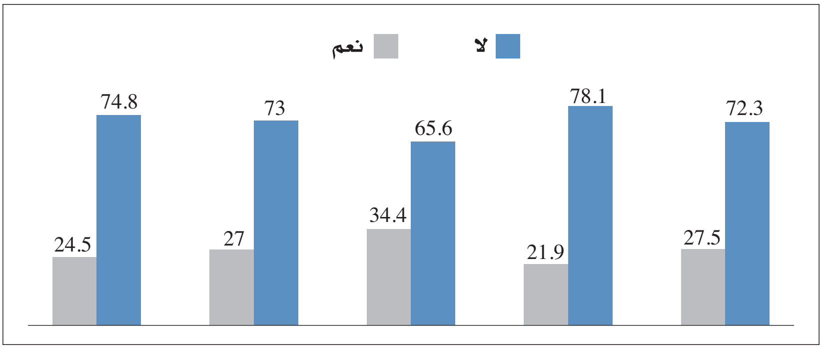

المرجع: رشيد جرموني، دراسة حول الشباب والتدين، م، س، ذ.

ما يظهر في الرسم هو أن نسبة الفتيات أكثر تعبيراً عن رفضهن لإقامة علاقات مع أصدقاء يهود، بنسبة (77%)، بالمقابل عبرت نسبة (67.5%) من الذكور. وقد بلغ الفرق إلى (10 نسب مئوية)، مما يدلُّ على تصلب أنثوي للنظرة لليهود. على عكس ما هو سائد في الحسّ المشترك من كون الفتيات أكثر تسامحاً وقبولاً بالآخر.

رسم رقم (3) اتجاهات الشباب لعقد صداقة مع يهودي حسب متغير الجنس%

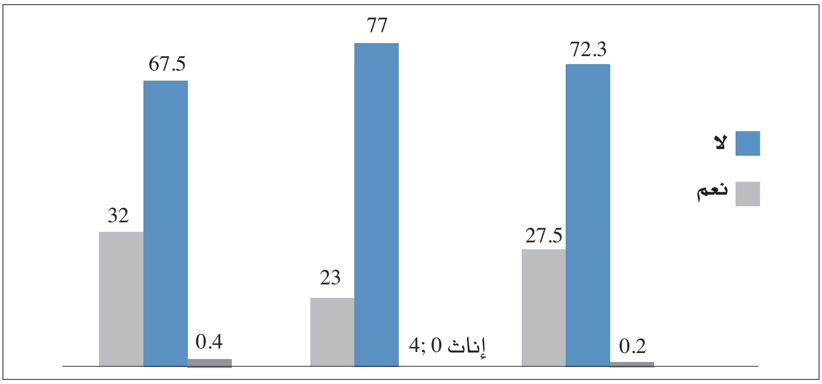

المرجع، س، ذ.

بالموازاة مع معطيات متغيّر الجنس تبرز معطيات متغير المستوى الدراسي، كمتغير محدد في النظرة للغير (اليهود)، حيث إن ذوي التعليم العالي عبروا عن مواقف مؤيدة من ربط علاقات مع أصدقاء يهود، بنسبة مهمة وصلت إلى (48%)، بينما الفئة الأكثر تصلباً ورفضاً لإقامة مثل هذه العلاقات نجدها عند فئة (بدون) بنسبة (86.7%). وهذا الاستنتاج يعزز ما سبق وأن أشرنا إليه سابقاً، من كون المتغير التعليمي أصبح كتغير جوهري ومستعرض لجل نتائج الدراسة.

رسم رقم (4) اتجاهات الشباب لعقد صداقة مع يهودي بحسب متغير المستوى الدراسي

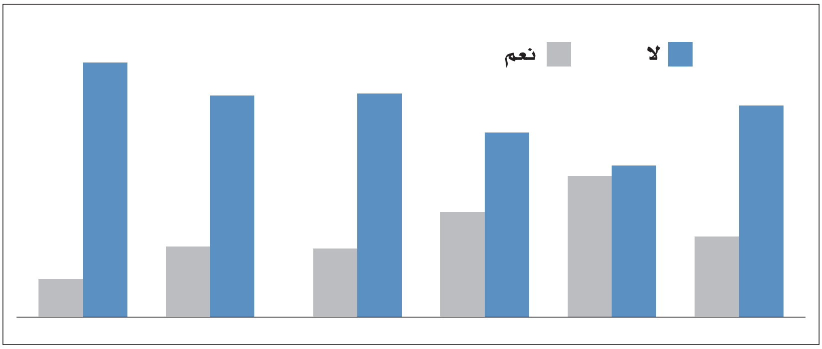

المرجع: س، ذ.

ب) نظرة الشباب للمسيحيين

كما توصلنا في نظرة الشباب لليهود، فإن النتائج الخاصة بالنظرة للمسيحيين، لا تختلف كثيراً، فحسب متغير الجنس، نجد أن الفتيات يعبرن عن موقف رافض لقبول صديق مسيحي بنسبة (68.3%)، بينما عند الذكور تختلف بفارق عشر درجات (59%)، الشيء الذي يبرز المواقف المتصلبة عند الفتيات أكثر من الذكور. لكن التساؤل الذي يطرح: لماذا هذا الاختلاف بين الذكور والإناث؟

يصعب تقديم أجوبة مقنعة عن هذه الإشكالية، لأنها تحتاج إلى

استقصاء كيفي للكشف عن تمثلات فئة الشباب حول النظرة للمسيحيين واليهود. وإن كنا قد سبق وأن بيّنا، أن مجموع التصريحات التي توصلنا إليها قد أبانت عن توجهات سلبية تجاه الديانيتين. لكننا لم نعمل مقاربة النوع في فهم خلفيات هذا الموقف. ونفترض أن قنوات التنشئة التي تتعرض لها الفتاة، خصوصاً من طرف الأُم، تكون أقرب إلى تشرب مواقف متصلبة في مثل هذه القضايا. وأن الفتاة ـ ربما ـ أكثر تأثراً بالخطابات الحدية التي تتداول في بعض المنابر الإعلامية، أو من خلال وسائط التنشئة المدرسية، والتي لا تزال تروج لمواقف سلبية من الديانتين ـ ليس على مستوى المضامين التعليمية، ولكن على مستوى القِيمَ التي يحملها المدرسون، ويتمُّ إعادة إنتاجها في صفوف المتمدرسين. فإن ذلك ما يعزز مثل هذه التصورات السلبية.

رسم رقم (5) اتجاهات الشباب لعقد صداقة مع مسيحي حسب متغير الجنس%

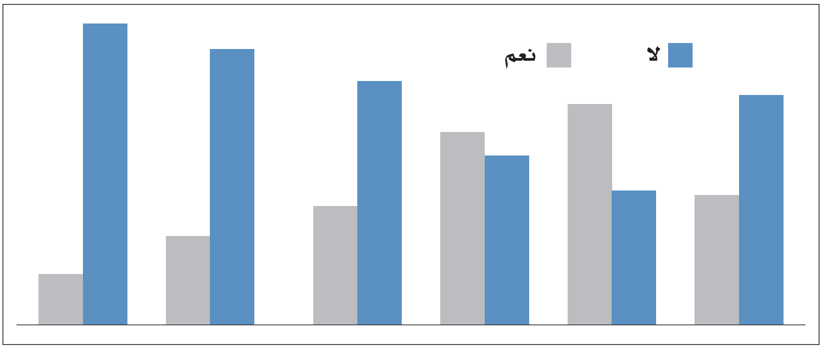

المرجع: س، ذ.

لا تختلف النسب الخاصة بقبول صداقة المسيحي بحسب متغيّر المستوى الدراسي عما توصلنا إليه في العلاقة مع اليهودي، إلا بشكلٍ طفيف، فنسبة ذوي التعليمي العالي سجلت مستوى مقدر في القبول بهذه الصداقة (62%). بينما أعلى نسبة الرفض هي المسجلة عند من لا يتوفرون على تعليم (84.3%)، والذين عبَّروا عن رفضهم لربط علاقة مع صديق مسيحي.

رسم رقم (6) اتجاهات الشباب لعقد صداقة مع مسيحي بحسب متغير المستوى الدراسي

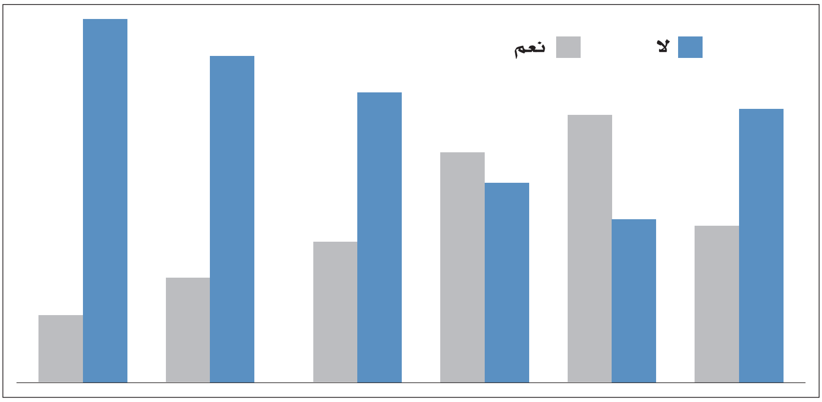

المرجع: س، ذ.

سادساً: خلاصات واستنتاجات وآفاق للتساؤل والاستشراف

بيّنت النتائج السابقة جزءًا من التمثلات التي يحملها شباب منطقة الدراسة، (سلا قرب العاصمة المغربية الرباط)، حول الديانتين التوحيديتين: اليهودية والمسيحية، فيمكن القول: إنها تكشف عن ملمح بارز، وهو ضعف المعرفة الدينية بهاتين الديانتين، بل أكثر من ذلك، وجود انطباعات جدّ سلبية، كالقول بأن الديانتين «فاسدتان»، و«محرّفتان». وقليلة هي الإجابات التي عبّرت عن مواقف متسامحة مع الديانتين. ونحن في معرض تحليلنا توصلنا إلى ملاحظة نعدّها أساسية في هذا النقاش؛ هي أن خلوّ المناهج والمقررات الدراسية المغربية من الحديث عن الأديان ـ يمكن أن تشكّل جسراً مستعرضاً بين مجموعة من المواد التعليمية ـ يعدُّ في نظرنا من بين الأسباب التي أسهمت في استنبات هذه التمثلات. هذا علاوة على ما تروجه بعض المواقع الإلكترونية، وبعض المنابر الإعلامية، وحتى ما يتداول في الحسّ المشترك تشكل هي أيضاً عوامل إضافية لترسيخ نوعية هذه التصورات. لكن لماذا نلاحظ أن هناك استمرارية لمثل هذه التمثلات؟ وهل يمكن التقليل من غلوائها؟ وما المداخل الممكنة لترسيخ قيم التسامح والتعايش بين الشباب المسلم في المجتمعات المعاصرة؟

بداية تسمح الدراسة السابقة أو غيرها بتأكيد أن هناك العديد من الأطراف التي تروج لفكرة المؤامرة، والتي تلقى قبولاً كبيراً عند الفئات الشابة، وتجد صداها في أحاديثهم وفي المدارس وفي الجامعات والمنتديات وفي شبكات التواصل الاجتماعي. هنا ينبري (يظهر) الحل لمواجهة هذا «التسونامي». فكيف يتم التمكين له؟

إن واقع الهشاشة الفكرية وغياب الحس النقدي عند أغلب الشباب، يساعد على تلقي الفكر السهل والبسيط، والقائم على نظرية المؤامرة؛ لأن أسهل شيء هو أن ترمي الآخرين بمسؤولية تأخرك، عندما تعجز عن تحقيق طموحاتك (ويمكن أن نوضح هذه الفكرة، فعندما يرسب تلميذ (ة) أو طالب (ة)، لا يحمِّل المسؤولية لنفسه، بل يرمي بها على الأساتذة أو الإدارة أو أصدقائه أو أُسرته، المهم أن يبحث عن كبش فداء). وعليه فإن الفكر المتطرف والمنغلق يصوّر العملية بهذا الشكل: الآخرون هم الجحيم، وعلينا أن نحاربهم؛ لكي نطهر الأرض من «رجسهم» و«تفسخهم». والحل يكمن في بدء عملية الشحن وغسل الدماغ لآلافٍ بل ملايين الشباب، ممن يعيشون سواء في المنطقة الشرق أوسطية أو آسيا أو شمال إفريقيا أو في أوروبا وأمريكا. وعندما يتمُّ تصوير هذا «العدو» بأنه سبب تخلفنا، وبأنه يريدنا أن «نعيش في الضلال» ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: 109]، فإذن عليك أيها الشاب أيتها الشابة أن تقوم بواجب «الأمانة»، وهي نصرة الدين، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، وذلك عن طريق شيطنة الآخر، ومن ثم تكفيره وتفسيقه وتضليليه، إنه «الشيطان الأكبر» الذي إذا تُرك سيملأ الأرض فاحشة وضلالاً، بعدما كانت قد أضيئت «بنور الاسلام».

بَيْدَ أنّ أخطر مسألة يتمُّ بها شحن نفوس وعقول الشباب عندما يتمُّ تسويق بعض النماذج السيئة التي حدثت في الماضي أو الحاضر، والتي تبيّن أن الغرب وأمريكا عدو للمسلمين، خصوصاً تلك المتعلقة بالحرب على العراق أو أفغانستان، ويتمُّ تجاهل أن هذه الحروب كانت لها أسباب وسياقات معقدة، يتداخل فيها العامل الداخلي والخارجي، ومن ثمَّ يصعب الاطمئنان لها كلية.

إن هــذه الفكرة ـ التــي بنيّت على مقدمــات خاطئة ـ تجــد قبولاً عند الشباب، وهو ما نلاحظه في العمليات الإرهابية العنيفة التي يذهب ضحيتها اليوم العديد من الأبرياء، سواء في أوروبا أو أمريكا أو في العالم الإسلامي. ولعلَّ إثارة هذه المسألة في هذا السياق يهدف إلى تنبيه الشباب إلى تهافت مثل هذا الخطاب، القائم على التدليس والتأويل الخاطئ للنصوص القرآنية والحديثية. إذ ـ كما يعلم الجميع ـ لا يمكن أن نضع الغرب وأمريكا واليهود كلهم في سلّة واحدة؛ فأغلبية هذه الشعوب تتميّز بسماحتها وبتقبلها للديانة الإسلامية، والسماح لمنتسبيها بممارسة شعائرهم وطقوسهم وصلواتهم وبناء مآذنهم وما إلى ذلك. ويجب التذكير أن العديد من المسلمين لم يذوقوا طعم الحرية إلا في أمريكا وفي أوروبا. والأهم من ذلك. أن تخلف الشعوب أو تقدمها هو نتيجة اجتهادها أو تقاعسها، ونتيجة استخدامها للعقل وللعقلنة وليس لوجود مؤامرة غربية أو أمريكية، **إذ لماذا لا نقول هذا الكلام على شعب الصين وعلى اقتصاد الصين وعلى اليابان وعلى كوريا الجنوبية وعلى تركيا وعلى الهند والبرازيل وغيرهما من الدول والاقتصاديات الصاعدة، بل التي حققت تنمية عملاقة؟**

إنَّ واقع الهشاشة الفكرية وغياب الحس النقدي عند أغلب الشباب، يساعد على تلقي الفكر السهل والبسيط، والقائم على نظرية المؤامرة؛ لأن أسهل شيء هو أن ترمي الآخرين بمسؤولية تأخرك، عندما تعجز عن تحقيق طموحاتك.

هذه الأسئلة وغيرها، هي التي وجب أن يطرحها كل شاب أو شابة، يسمع لدعاوى الفكر المتطرف والإرهابي. إذ من المسؤول عن تخلفنا: هل الغرب أم نحن؟ حتى إننا نجد في القرآن الكريم، قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165] أي إن مصدر الشر والتخلف هو من صنع أيديكم وليس بسبب الآخر. وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11] وهي آية صريحة ودالة على ان التغيير من الأسوأ إلى الأحسن، لا يكون بتدخل الآخر، بل هو من صنع أيدينا أي من إفراز المجتمع ومن عبقريته وذكائه واستخدامه للعقل، واعتماده على طاقاته وعلى عقول أبنائه وعلى حافزيتهم الحضارية.

ولعلَّ الأخطر في الأمر هو «شيطنة» الآخر، ورميه بكل النعوت والأقداح، خصوصاً تلك التي تتعلق بـ«هدم الأخلاق»، هو ما يترتب عنها من ردود فعلٍ عنيفة. فعندما يسمع الشاب أو الشابة، أن هذا الغرب / أمريكا، هو سبب تفشي «الرذيلة» و«الفاحشة»، فإن ذلك ما يدفع هذا الشاب أو الشابة إلى التفكير في مواجهته بالعنف، وباستعمال المتفجرات لتحطيم «العدو الأكبر» أو «الشيطان الأكبر»، ويتمُّ تحريف بعض الآيات القرآنية واستعمالها في غير سياقاتها الأصلية، كمثال على ذلك ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 36]، ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123] (أي قسوة). ويمكن ملاحظة أن أعنف العمليات الارهابية التي وقعت في السنوات الأخيرة، كانت من طرف التيار الارهابي، سواء من طرف القاعدة سابقاً، أو على يد «داعش» حالياً.

وبالمقابل، يتمُّ طمس حقيقة الاسلام السمحة والمتعايشة والتي تتأسس على فكرة التعايش، من ذلك قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: 64] وهي دعوة للمسلمين لكي يكونوا في مستوى إشاعة قيم التعايش مع الآخر، ونبذ الأحقاد والضغائن والعداوات.

لذا يظهر أن على فئة الشباب أن تفهم وتستوعب خطر فكرة المؤامرة؛ نظراً لمآلاته على مستقبلك وعلى أُسرتك وعلى مشروعك العلمي والمهني وعلى مجتمعك بشكلٍ أوسع. وعليك ثانياً أن تفهم أن الأصل في العلاقات مع الشعوب والأديان والإثنيات والمذهبيات هو التعايش والتفاهم والتسامح، وليس الكره والعنف والمصادرة والاعدام. (فالآخر يسكننا على نحوٍ ما) وإن وجودك مشروط بوجود الآخر. وثانياً: إنه لولا التعايش بين الحضارات لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم، فكما كنا سادة العالم، وقدّمنا للإنسانية العديد من الاختراعات والابتكارات والرؤى والتصورات وقِيَم الحياة؛ فإن الغرب وأمريكا اليوم يقدّمون لنا العديد من المنتجات والابتكارات والاختراعات والرؤى والتصورات، فالتراكم الإنساني ليس له حدود، والحضارات تبنى بهذا التراكم. وأهم شيءٍ في تحقيق هذا التراكم هو إزالة الأحقاد والأضغان، والقبول بالتعايش معه وبه؛ لكي يتمُّ بناء مستقبل أكثر ازدهاراً وتقدّماً وسلاماً وأمناً.